

المجتمعات الافتراضية

الرهان على عقب أخيل



الخصوصية في الأصل موقف دفاعي

وماذا بعد أن يصبح الإنسان مشاعاً؟

إلى السيويلة المعلوماتية التي تتوفر عن الأشخاص والمؤسسات عبر التقنيات الجديدة، ومن أهمها الشبكة العنكبوتية، التي تتيح قدرًا كافيًا ومقبولًا من المعلومات بمجرد ضغط زر. أي إن الأنا أصبح عاريًا أمام الآخر، ولم يعد بمقدوره أن يستتر حقيقته وخصوصياته عن أعين الآخرين. عصر ما بعد الخصوصية يعني انتهاء عصر الملتزمين فلم يعد لهم وجود.

الخصوصية في الأصل موقف دفاعي يتحصن بداخله الأفراد والمؤسسات حتى لا يقوم المنافسون والخصوم والأعداء باستغلال المعلومات

ومن ثم يتم تهافت مفهوم انتهاك الخصوصية الذي يعني الإطلاع على خصوصيات الآخرين دون علمهم، فالمعلومات مباحة للجميع، وقد تنازل أصحابها عنها طواعية، ويستطيع كل إنسان الدخول عليها دون محاسبة من أحد. ولهذا المفهوم أشكال متعددة منها الإطلاع على كل بياناته الشخصية أو متابعة المواقع التي يزورها المستهدف على شبكة الإنترنت أو السلع التي تشد انتباهه لمعرفة سلوكه الاستهلاكي، ومحاولة معرفة ملفاته الشخصية أو توجد جهازه مثل الصور الشخصية أو أوراق العمل أو غير ذلك مما يدخل في إطار الخصوصية.

والجدير بالذكر أن مواقع التواصل الاجتماعي - كالفايسبوك على سبيل المثال - تحمل الكثير من البيانات الحقيقية لأصحابها كالاسم الحقيقي والصور الحقيقية والانتماءات.

غير الزواج، والزواج غير الزمالة في العمل، والزمالة في العمل تختلف عن المشاركة في المشاريع والشركات الخاصة... إلخ.

كما أن القوانين الخاصة بكل دولة في الوقت الذي تحرص فيه على عدم انتهاك الخصوصية وتضع محاذير قانونية لعدم انتهاك هذه الخصوصية فيما يُعرف بالحق في الخصوصية الذي يعد حقًا من حقوق الإنسان وعرضًا في معظم التقاليد القانونية يدين اتخاذ إجراءات يمكن أن تهدد خصوصية الأفراد، إلا أن هناك في أعراف هذه الدول قوانين أخرى تحد من هذه الخصوصية بطريقة أو بأخرى، ومن قبيل ذلك القوانين المتعلقة بالضرائب والتي عادة ما تتطلب مشاركة معلومات عن الدخل الشخصي أو الأرباح العائدة من الممتلكات والمشاريع الربحية، كما أن هناك بعض القوانين الموجودة في العديد من الدول تنص على ضرورة الإفصاح عن معلومات تعد خاصة في عرف العديد من الدول أو الثقافات الأخرى.

وتعد المعلومات التي تعبر عن الخصوصية هي تلك المعلومات التي غالبًا ما تعدّ محمولًا للموضوعات التالية أو كل ما يتعلق بها: الحياة العائلية، الحالة الصحية، الرعاية الطبية، المحادثات الهاتفية، الذمة المالية، الآراء السياسية، المعتقدات الدينية، موطن الشخص ومحل إقامته، وحرمة مسكنه، وحرمة مراسلاته، واسمه، وصورته، وحرمة جسمه، وحياته المهنية والوظيفية، وقضاء أوقات فراغه. وبناء عليه تصبح الخصوصية هي القدرة على السيطرة على تلك البيانات الشخصية التي لا شركة لاغير فيها.

ومن معرفة مصطلح الخصوصية يمكننا الوصول إلى تحديد مصطلح "ما بعد الخصوصية" والذي يشير

غيطان السيد علي
كاتب وأكاديمي مصري

لما كان من الضروري لفهم مصطلح "ما بعد الخصوصية" الوصوف على حقيقة وهوية مصطلح "الخصوصية"

المتجاوز ومعرفة ما له وما عليه. ومن ثم فإنه قد تم تعريف الخصوصية بأنها "قدرة الفرد أو الأشخاص على عزل أنفسهم أو معلومات عنهم عن مجال الآخرين المعرفي، وبذلك فإنهم يعبرون عن أنفسهم بطريقة انتقائية ومختارة". أي إن الأفراد يحفظون كل ما يخصهم من معلومات في سرية تامة بحيث لا يمكن لأحد أن يطلع عليها، إلا ما يريد هذا الشخص أن يفصح عنه طواعية من خلال إفصاح مساحة معلوماتية لما يريد أن يعرفه عنه الآخرون.

والخصوصية في الأصل موقف دفاعي يتحصن بداخله الأفراد والمؤسسات حتى لا يقوم المنافسون والخصوم والأعداء باستغلال المعلومات المتاحة واستخدامها في إلحاق الضرر المادي أو المعنوي بالخصم. فلكل فرد ومؤسسة الحق في المحافظة على خصوصيته بمعزل عن الآخرين. هكذا يقول عصر الخصوصية الكائن تحت السماوات المنخلقة.

ولما كان الإنسان كائنًا اجتماعيًا لا يعيش بمفرده، بل يعيش ويتعايش ويتعامل مع الآخرين بكل أشكال التعامل، وهذا التعامل يتطلب أن يعرف كل طرف المعلومات الكافية عن الطرف الآخر فكان لا بد أن يفصح الإنسان عن بعض المعلومات ويتنازل طواعية عن بعض الخصوصيات التي يحتاجها الطرف الآخر عن شريكه، وذلك لتحقيق مصالح مشتركة، ولذلك تختلف كمية وحجم هذه المعلومات الشخصية حسب طبيعة التعامل؛ فالصداقة

إليها "بالاجتماعي"، فهي مطلب اجتماعي ثقافي قبل أن تكون وسائل إعلام أو تواصل سياسي، إنما أخضعت فيما بعد لمطلب حيوي في المجتمعات التي تعاني من الإكراهات السياسية، وتحولت هذه الوسائط الاجتماعية للاتصال إلى منابر يتداخل فيها السياسي بالإعلامي بالتواصلي الشخصي، بالاستهلاك والإشهار التجاري، مرورًا بكل الأشكال المتداخلة التي تمنح في آخر المطاف قواسم المجتمع الكبير المشترك وغير المشترك فيه المسماة "خصوصية فريدة"، والتي يراد لها أن تشارك في العملية التبادلية النفعية، كسلعة استهلاكية في آخر المطاف.

المواطن، المبهور والمندوه أمام انفتاح المجال أمامه للخروج من الفضاء الضيق للاتصال المحلي والمناطقي، وأحيانًا الأسري القبلي العشائري، وجد نفسه خلال فترة وجيزة، يتصور وكأنه تمكن أخيرًا من التغريد خارج القفص، وحتى دون إدراك أو معرفة مسبقة بما يفعل ويتبع ذلك ومخاطر هذا الانفتاح على العالم الافتراضي، إلى درجة قبول تقاسم الخصوصيات العائلية والحميمية: صور وأحاديث ودرشات ورسائل صوتية ونصية، مرفوقة بقائمة "الأصدقاء والاتصالات"، يجد المستخدم نفسه يقاسم هذه الوسائط أسراره في ثقة الوثائق من نفسه على أن العقل الإلكتروني الكبير هو "الصادق الأمين".

إليها "بالاجتماعي"، فهي مطلب اجتماعي ثقافي قبل أن تكون وسائل إعلام أو تواصل سياسي، إنما أخضعت فيما بعد لمطلب حيوي في المجتمعات التي تعاني من الإكراهات السياسية، وتحولت هذه الوسائط الاجتماعية للاتصال إلى منابر يتداخل فيها السياسي بالإعلامي بالتواصلي الشخصي، بالاستهلاك والإشهار التجاري، مرورًا بكل الأشكال المتداخلة التي تمنح في آخر المطاف قواسم المجتمع الكبير المشترك وغير المشترك فيه المسماة "خصوصية فريدة"، والتي يراد لها أن تشارك في العملية التبادلية النفعية، كسلعة استهلاكية في آخر المطاف.

المواطن، المبهور والمندوه أمام انفتاح المجال أمامه للخروج من الفضاء الضيق للاتصال المحلي والمناطقي، وأحيانًا الأسري القبلي العشائري، وجد نفسه خلال فترة وجيزة، يتصور وكأنه تمكن أخيرًا من التغريد خارج القفص، وحتى دون إدراك أو معرفة مسبقة بما يفعل ويتبع ذلك ومخاطر هذا الانفتاح على العالم الافتراضي، إلى درجة قبول تقاسم الخصوصيات العائلية والحميمية: صور وأحاديث ودرشات ورسائل صوتية ونصية، مرفوقة بقائمة "الأصدقاء والاتصالات"، يجد المستخدم نفسه يقاسم هذه الوسائط أسراره في ثقة الوثائق من نفسه على أن العقل الإلكتروني الكبير هو "الصادق الأمين".

الإثم والمنافع

جديدة، منها وسائل التواصل الاجتماعي التي تسمح للمتصلين عبر شبكة الإنترنت بفتح حساب أو صفحة بهدف ربط علاقات صداقة ونشر أخبار والتعبير عن أفكار، أو المساهمة بصور أو فيديوهات مع الأصدقاء أو محيطهم، وأضحى عدد هذه الوسائل في تزايد مستمر وفاق المئات، حيث تشهد الشبكة العنكبوتية من يوم إلى آخر ميلاد اسم جديد في دولة ما، وأي نظرة سريعة على أهم وسائل التواصل الاجتماعي، تكشف لنا عن مدى انتشارها وهيمنتها على عالمنا الافتراضي الذي أصبح امتدادًا لعالمنا الواقعي.

الانتشار المذهل كل يوم لوسائل التواصل الافتراضية، جعل العديد من الباحثين في ميادين شتى سواء كانت مرتبطة بالإعلام أو علم الاجتماع أو النفس أو التربية يدقون نواقيس الخطر بعدما تعاضلت التهديدات التي تشكلها هذه الوسائل، واستغل خطرهما إلى حد إنشاء الدول لمديريات خاصة بالجريمة الإلكترونية، تقوم

جديدة، منها وسائل التواصل الاجتماعي التي تسمح للمتصلين عبر شبكة الإنترنت بفتح حساب أو صفحة بهدف ربط علاقات صداقة ونشر أخبار والتعبير عن أفكار، أو المساهمة بصور أو فيديوهات مع الأصدقاء أو محيطهم، وأضحى عدد هذه الوسائل في تزايد مستمر وفاق المئات، حيث تشهد الشبكة العنكبوتية من يوم إلى آخر ميلاد اسم جديد في دولة ما، وأي نظرة سريعة على أهم وسائل التواصل الاجتماعي، تكشف لنا عن مدى انتشارها وهيمنتها على عالمنا الافتراضي الذي أصبح امتدادًا لعالمنا الواقعي.

الانتشار المذهل كل يوم لوسائل التواصل الافتراضية، جعل العديد من الباحثين في ميادين شتى سواء كانت مرتبطة بالإعلام أو علم الاجتماع أو النفس أو التربية يدقون نواقيس الخطر بعدما تعاضلت التهديدات التي تشكلها هذه الوسائل، واستغل خطرهما إلى حد إنشاء الدول لمديريات خاصة بالجريمة الإلكترونية، تقوم

رشيد حمليل

فرضت وسائل التواصل الاجتماعي في السنوات الأخيرة نفسها على حياتنا اليومية، وأصبحت جزءًا من سلوكياتنا بعدما منست كل مجالات حياتنا، سواء كانت شخصية أو اجتماعية أو مهنية، وأمسى الفرد من لحظة استيقاظه من نومه إلى لحظة دخوله فراشه يمسك بهاتفه الذي بيده، ويبقى منتبهًا لأي رنة تنبعث من هاتفه للرد عليها والتجاوب مع محتواها.

لا ينكر أحد أن الإنترنت كوسيلة اتصالية خلقت معها ظواهر



انتشار الخصوصية



انفتاح الموبايل على تطبيقات السوشيال ميديا أطاح بالخصوصية وضربها في الصميم

مختلفة تحكي قصة الشخصية بأزماتها وأفراحها وأتراحها وتحولاتها، على نحو يجعلها عارية أمام الجمهور بلا حدود ولا حواجز ولا مصدات تفصله عن الآخرين وتمنح فضولهم وترد سهامهم الغازية في معركة سهلة، وأي معركة خالية من أدنى درجات التكافؤ تلك التي يتبرع فيها الإنسان بعرض حالاته تحت مرئى رغبات الآخرين وجموحهم اللصوسي.

شُرّ صورته بعد أن أخفق في الحفاظ عليها داخل حدود ذاته وشخصيته وفُزط بها لصالح أوهاام لا قيمة لها البتة. لم يقتصر الانفتاح المحموم هذا على الصور فقط بوصفها المجرد الذي يتحدد عادة باللوحة الشخصية وهي تعبر عن الهوية بالوجه وملامحه وتعابيره وحالاته، بل توسّع ليشمل الحالات الشخصية التي تعبر عنها نماذج صورية

صفحاته بحثًا عن شهرة زائفة وإرضاء لغرور ذاتي صغير كامن في منطقة غامضة من الأعمق، غير أنه تمامًا بما يمكن استغلاله من هذه الصور والتلاعب بها لتحقيق غايات غير شريفة وغير قانونية وتشديد الضرر، وهو ما يعرض الإنسان لأخطار جسيمة لا يدرك شأنها إلا حين يقع فيها فيكون من المستحيل عليه تجاوز نتائجها الكارثية أحيانًا، فيقع في

في الشارع والمحلات والمقاهي والساحات العامة وغيرها.

تكاثر هذه التقاليد الخاصة بالصور الشخصية والجماعية في طريقها إلى الانقراض، بعد أن عوّضت أجهزة الموبايل الحديثة عنها وركنتها جانبًا بما حملته من كفاءة تصويرية عالية المستوى، ليس هذا فحسب بل الغت تمامًا البومات الصور وعوّضت بها البومات محفوظة في الجهاز نفسه بلا أقلام ولا تميمض ولا استظهار ولا ورق على شكل بطاقات صورية، يمكن لصاحبها أن يتلاعب بها على الأصدرة كافة بلا حدود فيما يصطلح عليه "Play With Pictures" وبحسب الطلب والمزاج، على عكس الألبومات القديمة وهي تترجم حالة واحدة لا تتغير.

صارت جهاز الموبايل آلة بانورامية تحوي كل شيء باقتدار وكفاءة عالية تتطور على نحو مجنون كل يوم، فهو محل تصوير واتصال وتسجيل وكل شيء تقريبًا بما يجعل حامله قادرًا على فعل أشياء عجيبة في هذا المجال بالما يمكن من الجهد والمال والعناء، وعلمت هذه الامتيازات العجيبة على اندام الفرد العناية بالآثار الجانبية التي يمكن أن

محمد طاهر عبيد
ناقد وشاعر عراقي

الصور الشخصية هي ملك شخصي تمثل تاريخ الشخصية في لحظة معينة من الزمن كانت تجمّع وتحفظ في "اليوم" للحفاظ عليها من التلف، ولا يعرضها صاحبها عادة إلا لأصدقاء معدودين قد يكونون شركاء في بعض منها، وهي تبعث نوعًا من الاستئناس والمتعة في التذكر والاستذكار وتسجيل لحظات إنسانية جميلة خاطفة تؤرّخها الصورة بنمط معين من التشكيل، وكانت الكاميرا هي الإداة الفوتوغرافية العائمة في هذا المجال بحيث لم يكن امتلاكها أمرًا ميسورًا للجميع، فهي غالية الثمن أولاً وتحتاج إلى اقتناء أفلام تلتصق بها الكاميرا حتى تكون جاهزة للتصوير، وحين يكتمل الفيلم يحتاج من جديد إلى تميمض واستظهار حتى تتحول الصور من شريط الفيلم إلى صور ظاهرة على ورق خاص بحجم الكف، ويكمن إظهارها على أحجام أكبر بحسب طلب صاحب الصورة إذ كانت محلات التصوير رانجة والمصورون الجوالون يلتقطون صور الناس الراغبين